موقف النحاة من فلسفة النحو العربي

بقلم: د.صالحة حاج يعقوب

قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الإسلامية العالمية

بماليزيا

مدخل

إن تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق ليس موضوعا جديدا للنقاش فيه، بل كانت هناك مناظرات معروفة في هذا الموضوع بين اللغويين النحويين والفلاسفة في عهد بني العباس[١]. المنطق كفن من الفنون أو علم من العلوم في التعبير عن الاتجاه والمضمون الحضاري الذي انبثق منه، لذلك هو الميزان المعرفي والمعيار الفكري والنظري، وكل ذلك من النطق، لأنّ "النطق" هذا حيثما يرد يكون مقابلا لمعنى الظلم والهوى والضلال ومقرونا بها، وهو بهذا التقابل مرادف للحق الخالص المجرد عن الأهواء والضلالات، كما في قوله تعالى: (ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)[٢] وقوله: (فورب السماء والأرض أنه الحق مثل ما أنتم تنطقون)[٣] وقوله: (ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى)[٤]

---

[١] المناظرة الحارة بين أبي سعيد السيرافي من النحويين البصريين ومتى بن يونس في سنة ٣٢٦هـ ببغداد

[٢] المؤمنون ٦٢

[٣] الزاريات ٢٣

وقوله: (وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون)[٥]. ومستضيئا من ذلك، كلمة النطق ليست للتركيز على الكلام فحسب، وإنما تقابل أشياء: الضلالات والظلمات والسيّئات كما يرى الدكتور خطاب عبد الحميد[٦] "أنّ الفكرة المركزية في كتاب "تهافت الفلاسفة"[٧] للغزالي هي فكرة معرفية منطقية تتمثل في أن الفلاسفة أخطأوا حينما بنوا أدلتهم على مقدمات مسلمة على أنها يقينية قاطعة، والأمر ليس كذلك، بل فخطؤهم لم يكن راجعا إلى كون النتائج التي وصلوا إليها متعارضة مع الدين- وإن كان الغزالي يحسب لهذا ألف حساب- وإنما كان راجعا إلى عدم إحكام المسائل المنطقية التي استخدمت لإنتاج مسائل كل من العلمين: الإلهي والطبيعي، وهما العلمان اللذان اقتصر عليهما نقد الغزالي ". ومن الاحتمال أنّ هذه الآراء لاحظت أنه لم يذكر القضية الفلسفية بسوء. بذلك أضاف الدكتور خطاب[٨] "وهو ما أخطأ الفلاسفة اليونان وأتباعهم من الإسلاميين مما حدا بهم إلى الزيغ وإلى التهافت، وإلا فإن الحسابيات أو الرياضيات أو المنطقيات التي هي من مشتملات الفلسفة، فإنها مرحب بها

---

[٤] النجم ٣

[٥] النمل ٨٥

[٦] عبد الحميد الخطاب، **الغزالي بين الدين والفلسفة**، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، ١٩٨٦م، ص ٤٨٠

[٧] الكتاب المشهور لدى الغزالي زعم بعض الناس أنه مفتاح ضدّ الفلسفة في العلوم

[٨] عبد الحميد الخطاب، **الغزالي بين الدين والفلسفة**، ص ٤٨٣

ومقبولة قبولا لا يرد، لأن منهجها العقلي سليم، وقضاياها يقينية وقاطعة الصدق"، ويبدو أنّ هذا القول صحيح حين الرجوع إلى هذا الكتاب كما قال الغزالي:[٩] "ويستدلون على صدق علومهم الإلهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية، ويستدرجون به ضعفاء العقول[١٠]. وأمّا فلسفة النحو فهو علم تأثر بمنهج المسلمين الأصولي، ولكنها نظريات فلسفية وضعت في أصول النحو، إنّ مباحث اللغة بوجه عام ازدهرت في العالم الإسلامي ازدهارا كبيرا، وكانت بلا شك تستند إلى تفكير فلسفي نابع من بنية اللغة[١١]. بدأت ظهور الفلسفة في النحو في عهد المحاولات التفسيرية واللغوية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فاختلف المسلمون في تلك الأيام في تفسير بعض الآيات اختلافات لغوية تفسيرية حول تصوّرات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. واختلفوا في المفهوم اللغوي للآيات المحكمات، وكذلك اختلفوا في تفسيرات لغوية في القضاء والقدر والأسماء والأحكام، بل المذاهب الفقهية أيضا ناشئة عن اختلافات في البنية اللغوية الصادرة عن هذا المجتمع الجديد[١٢]. وأيّد العلماء اللغويون من

---

[٩] الغزالي، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق سليمان دنيا، ط٦، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م، ص ٧٦ – ٧٧

[١٠] **تهافت الفلاسفة** ص ٦٢ – ٦٣

[١١] علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، القاهرة: دار المعارف، ط٨، ٤٨/١

[١٢] المرجع السابق، ص ٢٢٤

المحدثين C.H.M Versteegh[١٣] هذا الرأي القائل: إنّ فكرة النحو العربي قد تأثرت بالنحو والمنطق الإغريقي بطريقة الملاحظة والتجربة (Scientifically) وهذا القول توافق رأي A.Merx [١٤] أن النحو العربي عند العرب تأثر بمنطق أرسطو خاصة في مفاهيم الظرف والمحتويات والحال. ومعنى ذلك أنّ عنصر النحو عند أرسطو أثر على النحو العربي. وأضاف A.Elamrani Jamal [١٥] قائلا "إنّ العلاقة بين النحو العربي والفكرة الإغريقية نتيجة لتأثير الفلسفة في القرن الرابع والخامس، وهذا الرأي كاد يقوّي قول المخزومي[١٦]: "إنّ كثيرا من النحاة كانوا من المتكلّمين، وقد أدركوا عمق الصلة بين الدرس النحوي وأساليب المنطق والكلام، ومدى تأثره بأساليب المتكلمين ونظرياتهم، وكان الدارس النحوي يزداد اتصالا بالفلسفة والمنطق حتى خضع لأسلوبهما خضوعا كاملا عند نحاة القرن الرابع". يعنى أن تأثر النحو العربي بالفلسفة الإغريقية بدأ في مرحلة ازدهار النحو أي في هذا العهد، فلا مجال لإنكار تأثير المنطق والفلسفة في النحو العربي. ومعنى ذلك، أنّ الفلسفة النحوية هي جزء من الفلسفة والمنطق في علوم الطبيعيات والحسابيات والتجريبيات في الحقائق.

---

[١٣] C.H.M. Versteegh, **Greek Elements in Arabic Linguistic thinking**, Leiden:E.J. Brill, ١٩٧٧, p.v١١١

[١٤] See G.Troupeau `Nahwu` in **The Encyclopaedia of Islam** (eds) Bosworth, Leiden: E.j. Brill ١٩٩٣, vol v١١, p ٩١٣.

[١٥] المرجع السابق

[١٦] مهدي المخزومي، **الدرس النحوي في بغداد**، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٧م، ص ٨٢.-٨٣

أ- النظرات الفلسفية والمنطقية لدى اللغويين والنحويين

كان من آثار تطبيق المنهج الفلسفي على الدراسة النحوية نحو نُطِق فعل الماضي مبنيا، والمضارع معربا، والفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا والمضاف إليه مجرورا ونُصِبت الأسماء بـ "إن" وأخواتها ورُفعت خبرها، وكذلك رُفعت بـ "كان" وأخواتها ونُصبت خبرها، كل ذلك من خلال الشعر والنثر، ولكن ظهرت العلل والأقيسة في معرفة وتعليل هذه الظواهر باستفسارهم عن المبني والمعرب، ولماذا بُني ولماذا أُعرِب؟ كما ذكر ابن جني أنّ هذه الظواهر أدّت إلى نشوء ما يسمى بالعلل الأولى والثواني والثوالث[١٧]. يقول ابن قتيبة النحوي اللغوي العالم في مقدمة كتابه: "أدب الكاتب" إنّ طائفة من الكتاب قد شغفت بالنظر في النجوم والمنطق والفلسفة، وعرفت الكون والفساد، والجوهر والعرض، وأهملوا اللغة أو النظر إليها، فوضع لهم كتاب في ذلك... والقياس الذي يشغل جزءا كبيرا من منطق أرسطو أصبح ذا دخل كبير في كثير من العلوم، فالقياس في الفلسفة، وفي اللغة، وفي النحو، وفي الفقه،[١٨] فكان للفلسفة اليونانية أثر كبير في تعاليم المتكلمين والأفلاطونية الحديثة[١٩] وبعض الأثر في التصوف... كما يقول أرسطو

---

[١٧] ابن جني، **الخصائص**، ١٣٩/١

[١٨] أجمع الفقهاء بين الفلسفة والشريعة لأن الفلسفة مُعرَّفة بالشريعة لأن الشريعة عامة، انظر أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة،، ١٢/٢

[١٩] حتى سمي بالأفلاطون الإلهي

إنّ الزمان والمكان كالوعاء للأشياء وهذا أصل تسمية النحويين للمفعول فيه ظرفا أي وعاء" ٢٠.وأُيِّد القول السابق بقول الجاحظ حيث نرى أنّ منهج النحويين كان يجري على أسلوب الفلاسفة والمناطقة وعلماء المتكلمين في قياسه وينظرون في العلة، فإن كانت صحيحة، فالصحيح لا يوجب إلا هذا الصحيح"٢١. وعلى عكس ذلك أشار الجاحظ إلى قضية المنهج العلمي مما تضمّنت لدى أهل العلم، إذ يقول: "حدّثني بعض أهل العلم عن طول الثروة في أرض الجزيرة، وكان صاحب أخبار وتجربة، وكان كلفا بحب التبيين معترضا الأمور، يجب أن يقضي إلى حقائقها وتثبيت أعيانها بعللها، وتمييز أجناسها وتعرف مقادير قواها، وتصرف أعمالها، وتنتقل حالاتها، وكان يعرف للعلم قدره"٢٢. ومستضيئا بهذا الرأي نجد أنّه بإمعان نظر تعمق في تعبير الأمور المعرفية أخلص للفكر والمعرفة، ونلاحظ اهتمامه في مجال الثقافة واستنباط الحقائق واستقرائها. ونفهم – من قوله – أنّ الجاحظ أيضا عالم من علماء الدين، ومتكلم من الطراز الأول في اللغة وآدابها، وخاض في بحار العلوم، سواء كانت عربية أو منقولة، فكان مذهبه الرائد يمثل الحكمة والفلسفة اليونانية. ولعل الدكتور إبراهيم مدكور أيضا من هؤلاء الباحثين المحدثين الذين نهجوا نهج الجاحظ كما يبدو من قوله: "ولم يقف الأمر فيما نعتقد عند الفقه والكلام، بل امتد ذلك إلى

٢٠ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تحقيق أحمد شاكر، الرحمانية، ١٣٥٥هـ، ص ٥

٢١الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، البابي الحلبي، جـ ٩٢/٤

٢٢المرجع السابق، ٥١/٤

دراسات أخرى من بينها النحو، وقد أثر فيه المنطق الأرسطي من جانبين، الأول: الجانب الموضوعي، والثاني: الجانب المنهجي، فتأثر النحو العربي عن قرب أو بعد بما جاء على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية. كانت هذه الفكرة هي الباعثة في تعريض الاتجاهات الفلسفية والمنطقية ويتجلى في ذلك ذكر إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو"[٢٣] بعض الأمور في النحو العربي وما علاقته وتأثره بالفلسفة، ويرى أولا، كل علامة من علامات الإعراب، فهي أثر العامل إن تجده في الجملة وجب تقديره، وثانيا، لا يجتمع عاملان على معمول واحد، وثالثا، الأصل في العمل للأفضل ولا تعمل العوامل في الأسماء فقط فترفعها وتنصبها، ولكنها لا تجر، ورابعا، ويكون الاسم عاملا نحو اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر، وخامسا، إن الحرف لا يعمل في نوع من الكلمات حتى يكون مختصا به "فلم ولن" عاملتان في المضارع ولا تعمل في الماضي، وسادسا، مرتبة العامل التقدم، وإذا كان العامل قويّا أمكن أن يعمل متقدما ومتأخرا، ولكنه إذا كان ضعيفا لا يعمل إلاّ متقدّما.

كان الفارابي من أوائل الفلاسفة والمناطقة لدى العرب في صنع النظرية الاتصالية مما يُعرّف المعنى اللغوي وما علاقته بالنحو والمنطق[٢٤]، منها علاقة الاسم بالحال وأنواع الأفعال ودور الأدوات في تكوين الجمل لكل الجمل هي

---

٢٣ إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، ص٢٣

٢٤ Fuad Said Haddad, **Alfarabi`s Theory of Communication**, Beirut: American University, ١٩٨٩, p.٣٢

المنطق اللغوي[٢٥] يرى أنّ الفلسفة ليست علما جزئيا كالعلوم الرياضية والطبيعية والطبية وما شاكلها، وإنما هي علم كلي يرسم لنا صورة شاملة للكون في مجموعه[٢٦]. ويبدو أنّه يرى أنّ حصول المنطق لا بد من استخدام طريقة فنية للنظريات والتطبيقيات. وهناك رأيان كادا يتفقان فيما بينهما، وهما: رأي الفارابي[٢٧] ونعوم تشومسكي[٢٨]، كما ذكر الفارابي في نظريته الاتصالية أنّ كلمة "الإنسان" ليس بمعنى واحد، بل لكل إنسان له اسم، نحو "زيد" أو "عمر" أو "محمد" أو غيرهم. وهذه تأتي بمعنى واحد وهو الإنسان، وأمّا "زيد" و"العماد" و"الأبيض"، لا يأتي بمعنى واحد، هاتان – العماد والأبيض – لا تتكونان في مكون الإنسان لأن العماد هو جامد أو كونة، وأمّا الأبيض فهو صفة. ولا تأتي الجملة منها إلا بتكوين من هذه الثلاثة معا. وكذلك يرى نعوم تشومسكي قاعدة النحو الكلي (Universal Grammar) المكونة من ثلاثة عناصر، أي أنّ كل جملة لها المبتدأ (subject) والخبر (predicate) والأدوات (connections). ولا تُكَوِّن الجملة بدون أحد منها. ومعنى ذلك أن العلاقة بين الاسم والفعل والأدوات علاقة قوية ووطيدة في كل لغة من لغات البشر.

٢٥Ibid, p. ٦٤

٢٦الفارابي، (أبو نصر الفارابي) **إحصاء العلوم**، تحقيق عثمان أمين، ط٣، القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م، ص ٤٣

٢٧ Ibid, p.٤٨

٢٨Chomsky, Noam, ***Lectures Government & Binding*** (Dordrecht: Foris Publications, ١٩٨٨) pp. ١ –١٩

بدون شك، أنّ ابن سينا من الفلاسفة المسلمين ورئيس الأطباء العرب وأمير الفلاسفة في نظر اللاتين قد كان ترجم المقدمة من كتابه " الشفاء" من العربية إلى اللاتينية مما يتعلق بمنطق أرسطو[٢٩]. وقيل بأن عبد القاهر الجرجاني من أوائل تلاميذه قد ساعده في ترجمة هذه المقدمة في الكتاب إلى اللاتينية[٣٠]. لذلك، يمكن القول إنّه من المحتمل أن الجرجاني في باب "النظم والنحو" من كتابه (دلائل الإعجاز) قد تأثر بالفكرة الفلسفية والمنطقية لأرسطو تأثرا مباشرا، لأنّ هذا الكتاب أي "الشفاء" حاصل على تأثر ابن سينا بهذه الفكرة. وهناك بعض المترجمين المشهورين في القرن الثاني عشر الميلادي منهم إبراهيم داؤد (Avendauth) ترجم بعض الكتب الفلسفية الإغريقية إلى العربية[٣١]. وبالعكس لا ريب فيه أنّ هناك بعض اللاتينيين منهم Pierre De Toledo الذي كان ماهرا في اللغة العربية حيث ترجم بعض الفكرة العربية إلى اللاتينية مباشرة[٣٢]. وكذلك Roger Bacon[٣٣] كان ماهرا في النحو العربي بدليل أنّه قد وضع أو على الأقل كان ينوى وضع أجرومية للغة العربية[٣٤]. ومن هنا نفهم أنّ ابن سينا

---

[٢٩] زينب محمود الحضاري، "**ابن سينا وتلاميذه اللاتين**" القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م، ص ٢٣

[٣٠] المرجع السابق، ص ٢٤

[٣١] المرجع السابق، ص ٢٥

[٣٢] المرجع السابق، ص ٢٦

[٣٣] تلميذ ابن سينا من اللاتينيين

[٣٤] المرجع السابق، ص ١٠٨

له مرتبة خاصة لدى اللاتينيين في تكوين فكرتهم، وهو كالباعث الفلسفي والمنطقي لديهم.

لقُب ابن رشد (Averroes) بـ"المعلم الثاني" بعد أرسطو في الفلسفة والمنطق. إنه عاش في عهد الموحدين بالأندلس. سُمّيت فكرته "فكرة الحرية" وانتشرت هذه الفكرة انتشارا واسعا في عهد النهضة: (Revolution Period) بأروبا. كما ذكر نجيب الله من قول Roger Bacon في كتابه المشهور " Opus Majus".

ومن الكتابة السابقة فهمنا أنّ ابن رشد له إسهام كبير في تكوين فكرة الفلسفة والمنطق لدى الأوروبيين جميعا، فهاجموا عليه هجوما شديدا سواء كانوا من النصارى أو اليهود أو المسلمين[٣٥]. ومن ذلك أدركنا أن الفلاسفة والمناطقة والمفكرين الإسلاميين عامة قد تأثّروا بالفكر الأرسطي حيثما حاولوا قعّدوها ونظّموها وقوّموها وقيّموها لكي لا تخرج عن الأحكام الأساسية في العقائد الإسلامية والتوحيدية والربوبية. وهؤلاء الفلاسفة من شراح فلسفة اليونان، والممثلون للفلسفة الإسلامية بما فيها من أصالة وإبداع، لا يمثلون على الإطلاق فيما تركوا من كتب وصلت إلينا، سوى أصالة الفلسفة الإسلامية.

[٣٥] اقراء قصة ابن رشد أمام محكمة الموحدين في عهد الخليفة يعقوب، وعقابه هذا كان لتأثره بالمنطق الأرسطي.

ب- من آثار المنهج الفلسفي في النحو العربي

وترى الباحثة أن النحاة لمّا تناولوا هذه الفلسفة حكّموها وقعّدوها في اللغة، وجعلوها ميزان ما كان يدور من الجدال بين المذاهب والمناقشات في الآراء بين المتكلمين. وكذلك ترى أنّ البصريين كانوا أحرص على هذه الفلسفة وأمهر فيها من الكوفيين الذين كانوا لا يفعلونها ولا يأبون الاحتجاج بها. لعل من المؤكد أن هذه الفكرة تؤيد قول شوقي ضيف[٣٦]: إنّ عقل البصرة كان أدق وأعمق من عقل الكوفة، وكان أكثر استعدادا لوضع العلوم إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية، وبالفكر اليوناني، وما وضعه أرسطوطاليس من المنطق وأقيسته. وأضاف قائلا: إن التأثير الفلسفي في البصريين كان أسرع من تأثر الكوفيين به وبقية الأمصار، فزخرت البصرة بتيارات الفلسفة اليونانية، وظهرت اتجاهات المعتزلة الذين كانوا أسرع استقبالا لهذا المنهج من أهل الجدل.

فالعراق في تلك الأيام – بصورة عامة – كان قد تأثر بالنزعة المنطقية والفلسفية تأثرا واضحا ظهر أثره في القياس الفقهي، فلا غرابة أن تتأثر الدراسات النحوية بهذه المناهج العقلية تأثرا يقل أو يكثر تبعا للبيئة التي يقيمون بها[٣٧]. وكما ذكر الرمّاني من البصريين المعتزلة الذين عرفوا بمنهجهم الفلسفي في تشقيق المسائل وتوليد الفروع وإقامة الأدلة، وغلبت هذه الخصائص على أسلوبهم في

---

[٣٦] شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ط٦، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م، ص ٢٢

[٣٧] المرجع السابق، ص ٢٣

البحث والتأليف[٣٨]. قال الدكتور سامي النشار إن قبول الفيلسوف الإسلامي للتراث اليوناني في مجموعه، كان يحتم عليه قبول كل عنصر، وبهذا اندرج المنطق اليوناني في أبحاث هؤلاء الفلاسفة إندراجا طبيعيا، بحيث لم ير فيه الفيلسوف الإسلامي، ويعني هذا أن هؤلاء الفلاسفة كانوا جسما غريبا في قلب الحضارة الإسلامية، عاشوا أغلب مراتب حياتهم كفلاسفة يونان لا يمشون إليه بصلة كلهم[٣٩]. وترى الباحثة أن هذه الأمور لا بد من أن لا تتعامل مع أمور لها صلة بالألوهية والتوحيدية إلا على الأمور البرهانية اليقينية والتصديقية والحسابية فحسب، كما ذكر الغزالي حين تصديق الفلاسفة والمناطقة للصفات الإلهية، فيقول: "لا غرو لو حار العقل في الصفات الإلهية، ولا عجب، إنما العجب من إعجابهم بأنفسهم وبأدلتهم ومن اعتقادهم أنهم عرفوا هذه الأمور معرفة يقينية مع ما فيها من الخيط والحبال[٤٠].

ومن هنا، وجدنا أن تطور الدراسات النحوية تضمّن المفاهيم الفلسفية والمنطقية التى امتزجت بمفاهيم النحو العربي، وهناك اختلاف واضح بينهما، إذ أن مجال المنطق هو الدراسات الفلسفية البحتة أي هو أداة الفلسفة بينما النحو هو مناقشة الألفاظ وأحوالها. بمناسبة هذا القول ترى الباحثة أنّ رأي عبد القاهر

---

[٣٨] المرجع السابق، ص ٣٧

[٣٩] علي سامي النشار، **مناهج البحث عند مفكر الإسلام**، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٤م، ص ٢٩

[٤٠] تهافت الفلاسفة، ص ١٩١

الجرجاني في "النظم" أشمل نظرية في تطبيق الفكرة الفلسفية والمنطقية في النحو العربي. و"النظم" عند الجرجاني هو تآخي معاني النحو ومعاني الكلام أي أن بعضها ببعض على حسب المعنى المطلوب[٤١]. ومعاني النحو تكون في الألفاظ والمعاني، قال الجرجاني: ولا مزية للنظم ولا حسن من غير أن يكون في معاني النحو شيء يتصوّر أن يتفاضل الناس في العلم به[٤٢]. والسوال إذن لماذا طرح الجرجاني هذه الآراء؟ فالجواب، لأن الناس تتفاوت في إدراك معاني النحو وفروقه التي يضمها النظم بالتعلق والربط، ثم هو يشير إلى شكوى الناس من أحكام النحو ومعانيه[٤٣]. وترى الباحثة أن ربط الجمل ببعض مع مراعاة معاني النحو ومراعاة أحكامه هي الحكم أو القانون، وهو ما يسمى تمام حسان[٤٤]بـ"العلاقة السياقية" أو Syntagmatic Relation وإضافة بذلك، أدرك الفارابي أنّ "صناعة المنطق تناسب صناعة النّحو، وذلك أن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمقولات "المعاني" كنسبة صناعة النّحو إلى اللسان والألفاظ"[٤٥] ويرى أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه أنّ كلاهما يُعنى بإثبات حكمه: النحويُّ يثبت صّحة

---

[٤١] صالحة حاج يعقوب، **نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية**، رسالة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٦، ص ١٦١

[٤٢] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تعليق أحمد مصطفى المراغي بك، القاهرة: المكتبة العربية ومطبعتها، د.ت، ص ٣٤٣

[٤٣] صالحة حاج يعقوب، **نظرية العمل في النحو العربي دراسة تحليلية ونقدية**، ١٦٢

[٤٤] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، المغرب: دار الثقافة، د.ت، ص ١٨٩

[٤٥] الفارابي، **إحصاء العلوم**، ٥٤

رفع الفاعل مثلاً، والمنطقي يثبت صحّة قضيّة جملته، فيشتركان في التفكير بطرق الاستدلال وإن اختلفت ماهية الدليل"[٤٦]. ودقة معنى الكلام بدقة توخي معاني النحو أي على المتكلم أو الكاتب أن يكون حريصا في استخدام معاني النحو، وأن يكون دقيقا في اختيار المعنى النحوي المناسب لمعنى الكلام، فيحدث حينئذ " النظم" وقد أتى الجرجاني بمثال لدقة الاختيار، حين قال:[٤٧] إنّ إضافة المصدر إلى العامل تقتضى وجوده أي وجود المصدر ووقوعه، لذلك يقول "أمرتُ زيداً بأن يخرج غدا" ولا يقول "أمرته بخروجه غدا".

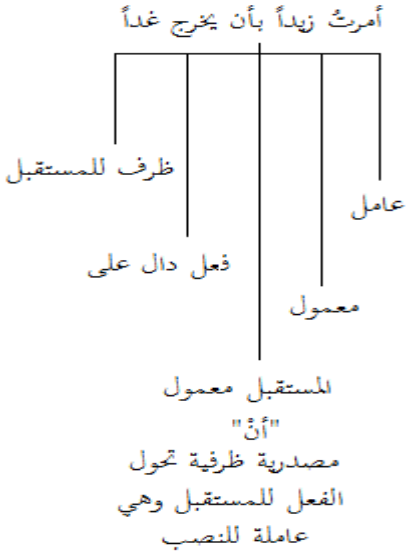

[٤٦] انظر في الفرق بين النحو والمنطق: أبا حيان التوحيدي وابن مسكويه، **الهوامل والشوامل**، تحقيق أحمد أمين وسيد أحمد صقر، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١، ص ٢٩٣ – ٢٩٤

[٤٧] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص ٤

معنى ذلك أنّك إذا كنت دقيقا فاستخدمت أن + الفعل المضارع، فهذا في معناه النحوي استقبال، ولكنك غير دقيق لو أتيت بالمصدر وهو الخروج، لأن هذا في معناه النحوي وقوع الخروج ووجوده في الماضي، فلا يصح استقبالا[٤٨]. ومن دقة معنى الكلام التزام الرتبة والتنكير حسب المعنى. هذا يعنى أن دقة دلالة الرتبة عند الجرجاني دقة توخي معاني النحو. لا يخفي على أحد أن الرتبة أو ترتيب معاني النحو لها علاقة بمعنى الكلام، وهناك حديث طويل لعبد القاهر الجرجاني عن دلالة التقديم والتأخير، كأنه يهتم به اهتماما شديداً، وقال: " ليس زيد أخوك بمعنى أخوك زيد" وهذه القاعدة من آثار المنطق في تعليل استعمال المقدّمات الصّورية. وكذلك دقة دلالة تنكير المبتدأ وتقديم الخبر أدت إلى دقة توخي معاني النحو كما استدل الجرجاني في قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياةٌ)[٤٩] على أن تنكير المبتدأ له معنى حسنٌ ومزية نظم في الآية الكريمة.

ولكم في القصاص حياةٌ

خبر مقدم

المبتدأ نكرة والتنكير له معنى نحوي

وحسن ومزية نظم في الآية

[٤٨] وفي جانب النحو فلسفة إسلامية خالصة:فكرة الزمان، الماضي والحاضر والمستقبل، انظر على سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ٥٦/١

[٤٩] النصر ١

وحسن ومزية نظم في الآية وندرك من ذلك، أن معنى التنكير هو المعنى النحوي في الآية، وهو الحسن والمزية في نظمها، وأن معرفة النحو ومعانيه ضرورة في نظم الكلام وإن تفاوت الناس في معرفة النحو. نفهم من نص الجرجاني أن معاني النحو من إفراد وتذكير وتشبيه وتوكيد وفاعلية ومفعولية وإسناد ونقدية وسببية وتبقية وبدلية واستثنائية... إلخ تكون خلال الكلام أو ضمنه ومعاني النحو هي سبب ترتيب الكلام مما جعله في غاية القوة والظهور. وترى الباحثة أن "النظم" فيما يتعلق أو يربط بمعاني النحو وألفاظه، له علاقة قوية ووطيدة بالفكرة التوهمية في النحو العربي، وذلك استدلالا بقوله تعالى: (لولا أخّرتَني إلى أجل قريب فأصدّقَ وأكنْ من الصالحين)[٥٠]

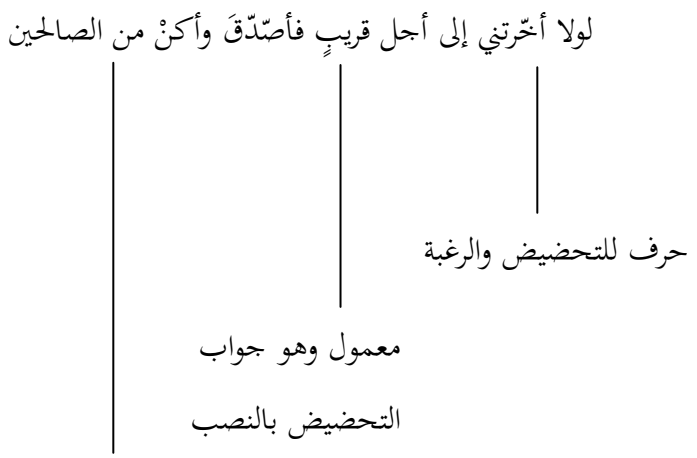

[٥٠] المنافقون ١٠

والشاهد (وأكن) جزم على توهم عند سيبويه[٥١] الشرط الذي يدل عليه بالتمني، وعامل الشرط ليس بظاهر لفظا، ولكنه وهمٌ معنويٌّ واقعٌ على (فأصّدّقَ)، فعطف عليه بالجزم. وذهب الزمخشريُّ إلى ما ذهب إليه سيبويه من أن (وأكنْ) بالجزم عطفٌ على محل (فأصّدّقَ)، كأنه قيل (إنْ أخرتني أصدقْ وأكنْ). وقرأ الجمهور (فأصّدّقَ) بالنصب على جواب الرغبة. وترى الباحثة أنّ (وأكنْ) مجزومٌ على تخلف الحركة الإعرابية والمتسامح فيها، كما فهمتها من آراء العلماء المحدثين، مثل الدكتور تمام حسان[٥٢].

(فأصّدّق) عند تمام حسان منصوب على تخلف الحركة، فإنه يرى أن (أكُنْ) عطف على (فأصّدّق) وقد تخلفت حركة الإعراب وتضافرت القرائن على المعنى، وأهم قرينة أو إشارة هنا هي أداة العطف[٥٣]

ج- الهجوم على المنطق والفلسفة في ضوء أصالة النحو العربي

هناك أمثلة أخرى لوجوه التخالف التي مرت بنا آنفا، تميل إلى أن النحو العربي تأثر بالفلسفة، وهذا أمر لا يجوز بحال، كما قال ابن جني " وأما في الحقيقة ومحصول الحديث والعمل في الرفع والنصب والجزم إنما هو للمتكلم نفسه

---

[٥١] سيبويه، **الكتاب**، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١١٧/٣.

[٥٢] حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

[٥٣] أي أن جزم (أكن) مخالف للقياس، الذي يحكم بنصبها لأنها معطوفة على المنصوب لفظاً لزوال الجزم بعد دخول الفاء انظر عبد الله أحمد جاد الكريم، التوهم عند النحاة ، ١٢٧: مكتبة الأداب، القاهرة ٢٠٠١م.

لا لشيء غيره"[٥٤]. فالعبارات من استخدام العقل في تفسير الظواهر، وليست هذه من عمل الألفاظ... فهذا في رأيه باطل عقلا وشرعا. وكما فهمنا شرط الفاعل أن يكون موجودا حينما ننطق "زيدا ضربته" بزيد منصوبا كانت "أن" غير موجودة فكيف ينسب إليها الفعل وهي معدومة. وقال ابن مالك في شرح الكافية[٥٥] إذا تقدّم اسم على فعل صالح لنصبه لفظاً، أو محلا وشغل الفعل عن عمله فيه بعمل في ضمير، فذلك الاسم السابق ينصب بفعل لا يظهر مواقف للمشغول معنى". وردّ ابن مضاء على هذا القول بقوله: "وإن كان العائد على الاسم المقدم قبل الفعل ضمير رفع، فإن الاسم يرفع، كما أن ضميره في موضع رفع، ولا يضمر رافع كما لا يضمر ناصب، إنما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعا لكلام العرب، إنه تارة منصوب على أنه غير مبتدأ، وتارة مرفوع على أنه مبتدأ، فلا منفعة بذلك"[٥٦]. ومن هنا وجدنا أن القدامى استدلوا بالآيات القرآنية بالاشتغال وقدّروا فيها عاملا محذوفا، نحو قوله تعالى: (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك)[٥٧]. قال أبو حيان الأندلسي انتصاب "رسلا" على إضمار فعل أي قد قصصنا رسلا عليك، فهو من باب الاشتغال

---

[٥٤] ابن جني، **الخصائص**، تحقيق عبد الحكيم محمد، المكتبة التوفيقية، ١/١١١

[٥٥] ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٠م، ١/٢٧٥، و**شرح ابن عقيل**، تحقيقي يوسف الشيخ محمد البقاعي، جـ١/ ٤٠٦ دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م،

[٥٦] ابن مضا، **الردّ على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، ص ١٠٦ ط٣، دار المعارف بالقاهرة.

[٥٧] النساء ١٦٤

والجملة من قوله تعالى: (قد قصصناهم) في موضع الصفة[٥٨]. وقوله تعالى: (فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضلالة)[٥٩] قال الزمخشري انتصاب "فريقا" بفعل مضمر يفسره ما بعده كأنه قيل: وخذل فريقا حقّ عليهم الضلالة[٦٠]، وفي قوله تعالى: (وقرآنا فرقناه لتقرأه)[٦١] قال الفراء[٦٢]... نصبت القرآن بأرسلناك أي ما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا.

وكذلك في باب التنازع، كما ذكر ابن مضاء (ورأى في هذه المسألة وما شاكلها أنها لا تجوز، لأنه لم يات لها نظير في كلام العرب، وقياسها على الأفعال الدّالة على مفعول به واحد قياس بعيد، لما فيه من الإشكال بكثرة الضمائر والتأخير والتقديم[٦٣]. وقد اعتمد البصريون إعمال الثاني أرجح بسبب الجوار، واستدلوا بقوله تعالى: (آتوني افرغ عليه قطرا)[٦٤] إعمال الثاني وهو "افرغ" ومفعول ثان "آتوني" محذوف للدلالة على إعمال الثاني واضح، وتحدثنا سابقا أن البصريين يميلون إلى فكرة الفلسفة والتدقيق بها. وهناك دليل في الحديث

---

[٥٨] عند ابن عطية، انظر أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ٤١٤/٣

[٥٩] الأعراف ٣٠

[٦٠] الزمخشري، **الكشاف**، تحقيقي مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦، ٩٥/٢

[٦١] الإسراء ١٠٧

[٦٢] الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق إبراهيم داسوقي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٩، ٥٨/٢

[٦٣] ابن مضاء **الرد على النحاة**، ص ٩٢

[٦٤] الكهف ٩٦

النبوي[٦٥] (تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين) فهنا ثلاثة عوامل لها معمولان، و"تسبحون" و"تكبرون" و"تحمدون" تنازعت في معمولين هما "دُبرَ" و "ثلاثا".

وحدثت المناظرة الحارة في سنة ٣٢٦هـ ببغداد بين أبي سعيد السيرافي العالم النحوي اللغوي ومتى بن يونس العالم في المنطق والفلسفة الإغريقية وفي تلك المناظرة قال متّى بن يونس[٦٦]" يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان" فرد عليه السيرافي بقوله: "أخطأت لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى رصفها أي أغراض اللغة ومعانيها، وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها".

حقاً، الهجوم على المنطق في تطبيقه في مجال البحث النحوي لا يؤثر على الحقيقة وهي خضوع البحوث النحوية للقواعد والأساليب المنطقية لأن المهاجمين تأثروا في بحوثهم بالمنطق. وهذا يوضح آثار تفكير النحاة ومواقفهم من المشكلات الفكرية التي عاصروها. والسؤال هنا لماذا هاجموا المنطق؟ فنجد أن هناك مؤثرين مهاجمين في التراث النحوي، أولا: أن الذين هاجموا المنطق قد تأثروا باتجاهات المفكّرين الإسلاميين الذين وقفوا من منطق الإغريق موقف المهاجمة الصريحة. وثانيا، في الوقت الذي كان هذا الهجوم كانت كل العلوم العربية قد

---

[٦٥] ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالمك**، بيروت: دار الجيل، ٢٧٤/١

[٦٦] أبو حيان التوحيدي، **الامتاع والمؤانسة**، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، ١٠٩/١

تأثّرت بالمنطق والفلسفة اليونانية[٦٧]. وكما يقول السيرافي النحوي: ... وإنّما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان وكان المعنى ثابتا على الزمان، لأن محتوى المعنى من العقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية وكل طينية متهافت"[٦٨] وأدركنا من ذلك أن أي لغة من اللغات الأخرى لا تطابق من جميع جهاتها بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها وحروفها. ومن هنا يمكن أن نقول إنّ ظهور تأثر النحو بالفلسفة عند القدامى كان قد بدأ في المرحلة الثانية والثالثة أي في عهد ازدهار الفرصة التقليدية والتحليلية في تطوير النحو العربي وقواعدها، لأن في هذه المرحلة امتزجت الخصائص الإسلامية بالملامح المنطقية.

خلاصة

نلاحظ أخيرا، أنّ العلاقة بين علم النحو وعلم المنطق من أهم الموضوعات التي كانت تشغل بال المناطقة والفلاسفة في كل عصر. والفكرة

---

[٦٧] تاج الدين عبد القادر أحمد، **أثر التفكير الفلسفي في الدراسات النحوية**، رسالة الماجيستر، معهد الخرطوم الدولي، ص ٢٦

[٦٨] انظر فهمي زيدان، **في الفلسفة اللغة**، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٤م، ص ١٩١

الفلسفية والمنطقية هي فكرة مهمة في تطوير معلومات في العقل حيثما متعلقة بالأقيسية والعللية والعواملية وغيرها التي ترد في القواعد النحوية العربية. هناك ملاحظات على الهجوم على هذه الفكرة، فهؤلاء يرون أن الفكرة الفلسفية لا تبلغ مستوى اليقين، لأنها من مخترعات النحويين واللغويين والفلاسفة والفقهاءن ففيها لبس وغموض. فمن هذا المنطلق ترى الباحثة أن الفكرة الفلسفية أو المنطقية لها تأثير خاص في تطوير النحو العربي، وترجو الباحثة ألايكون هناك تناقد وتعارض بين الأمة الإسلامية وغيرها في قبول هذه الفكرة قبولا متساحما واسعا دون تشكك فيها، كما ذكر فؤاد سيد الحضاري.

المراجع والمصادر

أ- المراجع العربية

١- إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٩م.

٢- ابن جني، **الخصائص**، تحقيق عبد الحكيم محمد، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٢م.

٣- ابن عطية، انظر أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

٤- ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تحقيق أحمد شاكر، الرحمانية، ١٣٥٥هـ.

٥- ابن مالك، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م

٦- ابن مضا، **الردّ على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، القاهرة: دار المعارف.

٧- ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالمك**، بيروت: دار الجيل، د.ت..

٨- أبو حيان التوحيدي وابن مسكويه، **الهوامل والشوامل**، تحقيق أحمد أمين وسيد أحمد صقر، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م.

٩- أبو حيان التوحيدي، **الامتاع والمؤانسة**، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، د.ت..

١٠- أحمد جاد الكريم، **التوهم عند النحاة** ، القاهرة: مكتبة الأدب، ٢٠٠١م.

١١- تاج الدين عبد القادر أحمد، **أثر التفكير الفلسفي في الدراسات النحوية**، رسالة الماجيستر، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٧م.

١٢- تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، المغرب: دار الثقافة، د.ت..

١٣- الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، البابي الحلبي، د.ت..

١٤- الزمخشري، **الكشاف**، تحقيق مصطفى حسين أحمد، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م.

١٥- زينب محمود الحضاري، "**ابن سينا وتلاميذه اللاتين**" القاهرة: درا قباء، ١٩٩٨م.

١٦- سيبويه، **الكتاب**، تحقيق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

١٧- ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، تحقيقي يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م.

١٨- شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، ط٦، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥.

١٩- صالحة حاج يعقوب، **نظرية العمل في النحو العربي (دراسة نقدية)** رسالة الدكتوراة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٦م.

٢٠- عبد الحميد الخطاب، **الغزالي بين الدين والفلسفة**، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، ١٩٨٦م.

٢١- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تعليق أحمد مصطفى المراغي بك، القاهرة: المكتبة العربية ومطبعتها، د.ت..

٢٢- علي سامي النشار، **مناهج البحث عند مفكر الإسلام**، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.

٢٣- علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، القاهرة: دار المعارف.

٢٤- الغزالي، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق سليمان دنيا، ط٦، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.

٢٥- الفارابي، **إحصاء العلوم**، تحقيق عثمان أمين، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.

٢٦- الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق إبراهيم الدسوقي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٩م.

٢٧- فهمي زيدان، **في الفلسفة اللغة**، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.

٢٨- مهدي المخزومي، **الدرس النحوي في بغداد**، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٧م.

ب- المراجع الأجنبية

١- C.H.M. Versteegh, Greek Elements in Arabic Linguistic thinking, Leiden: E.J. Brill, ١٩٧٧.

٢- Chomsky, Noam, *Lectures Government & Binding* Dordrecht: Foris Publications, ١٩٨٨

٣- Fuad Said Haddad, Alfarabi`s Theory of Communication, Beirut: American University, ١٩٨٩.

٤- G.Troupeau `Nahwu` in The Encyclopaedia of Islam (Eds) Bosworth, Leiden: E.j. Brill ١٩٩٣.

٥- H.Zainal Abidin Ahmad, Riwayat Hidup Ibnu Rushd Filosuf Islam Terbesar di Barat, Jakarta: Bulan Bintang, ١٩٧٥.

الدكتورة صالحة حاج يعقوب

عنوان البريد: niknajah@iiu.edu.my أو

drsolehah_yaacob@yahoo.com

الهاتف: ٦١٩٦٥١١٤-٦٠٣ /المحمول: ٠١٦٢٦٤٠٧١٤

الفاكس: ٦١٩٦٥٠٤٩-٦٠٣